

الصيام و ليلة القدر والسلام



بقلم الشيخ عماد مجوت

لما كان الصوم منتهيا بالصائم إلى تزكية النفس بالتقوى [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]

[البقرة: ١٨٣] ، والمغفرة فيه باب لجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين: [وسارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] [آل عمران: ١٣٣] ، كانت جائزة الرب ليلة مباركة، يجتمع فيها سكان السماء ، بسكان الأرض ، كما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَفِيهِمْ جِبْرَائِيلُ، وَمَعَهُمُ الْوَيْةُ، فَيُنْصَبُ لِرِوَاءِ مِنْهَا

عَلَى قَيْرِي، وَ لِيَوَاءُ مِنْهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَ لِيَوَاءُ عَلَى بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ، وَ لِيَوَاءُ عَلَى طُورِ سَيْدَاءَ، وَ لَا يَدْعُ مُؤْمِنًا وَ لَا مُؤْمِنَةً إِلَّا
 وَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، إِلَّا مُدْمِنَ الْخَمْرِ، وَ آكِلَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ الْمُنْذَرِ
 «المصمخ» بِالزَّعْفَرَانِ» (١).

بل حتى أعظم ملائكة الرحمة المسمى بالروح يهبط معهم ، كما عَنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ
 أَبِيهِ، عَنِ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،
 فَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْإِمَامِ إِذَا وُلِدَ، فَقَالَ: «اسْتَوْجَبَ زِيَادَةَ الرُّوحِ
 فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ». فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ لِي أُذُنٌ فَدَاكِ، أَلَيْسَ الرُّوحُ جَيْرَ نَيْلٍ؟
 فَقَالَ: «جَيْرَ نَيْلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَ الرُّوحُ [خَلْقٌ] أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،
 أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ؟» (٢). فلا
 ينبغي أن يغفل المؤمن عن حضور هذه الليلة والمحفل العظيم لجمع العالمين الأرض والسماء .

♦ فمن أهل الدنيا العبادة والطاعة ، التي فيها السلام والسلامة للنفس، فعَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، [قَالُوا]: قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: "كَيْفَ تَكُونُ لَيْلَةَ
 الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي
 أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» (٣).

ومن أهل السماء ألقاء السلام وكتابة الأقدار ، قَالَ: وَ سُئِلَ عَنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ،
 فَقَالَ: «تَنْزَلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَ الْكُتُبُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
 فَيَكْتُبُونَ مَا يَكُونُ فِي أَمْرِ السَّنَةِ وَ مَا يُصِيبُ الْعِبَادَ، وَ أَمْرُهُ
 عِنْدَهُ مَوْقُوفٌ [لَهُ]، وَ فِيهِ الْمَشِيئَةُ، فَيُقَدِّمُ [مِنْهُ] مَا يَشَاءُ وَ
 يُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَ يَمْحُو وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (٤).

♦ ومحفلة هذه الليلة مظهر أسمه تعالى السلام : هُوَ اللَّيْلَةُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ [الحشر: ٢٣]. فهو سلام وهي سلام: سلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [القدر: ٥]. تباركت لنزول الكتاب فيها الهادي إلى السلام : يَهْدِي بِهِ اللَّيْلَةُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة: ١٦].

وهو تعالى يدعو إلى دار السلام: وَاللَّيْلَةُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [يونس: ٢٥]. فهو تعالى سلام داعي إلى دار السلام بالكتاب الهادي إلى السلام المنزل في ليلة السلام . فطوبى لمن أجاب السلام في ليلة السلام إلى دار السلام.

♦ فلا ينبغي للمؤمن الذي صفى فيما مضى من شهر الصيافة والكرامة أن يأبى كرامة ربه في هذه الليلة ، ولا يستكثر ترددتها بين ليلتين أو ثلاث ، فما ضعفت نية عما عظمت منزلته، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) (عليه السلام) ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: «الَّتِي سَهَّهَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ».(٥)

وما أيسر الليلتين قبال عظمتها، فعن علي بن أبي حمزة الثمالي، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) ، فَقَالَ [لَهُ] أَبُو بَصِيرٍ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، اللَّيْلَةُ الَّتِي يُرْجَى فِيهَا مَا يُرْجَى؟ فَقَالَ: «فِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ». قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَقْوِ عَلَيْهِ كَلِمَتَيْهِمَا؟ فَقَالَ: «مَا أَيْسَرَ لَيْلَتَيْنِ فِيمَا تَطْلُبُ!».(٦).

"اللَّهُ هُمَّ - اجْعَلْ - فِيمَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتُومِ - وَفِيمَا تَفْرُقُ مِنَ الْأَمْرِ الْحَكِيمِ - فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ - وَفِي الْقَاءِ الَّذِي لَا يُرَدُّ - وَلَا يُبَدَّلُ - أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ

حُجَّاجٌ بِيَدَيْتِكَ الْحَرَامِ الْمَبْدُورِ - حَجَّاهُمْ الْمَشْكُورِ - سَعَيْتُهُمْ الْمَغْفُورِ -
ذُنُوبُهُمْ الْمُكَفَّرِ - عِنْدَهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ " .

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٧١٤.

(٦_٢) البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٧٠١.